طاقات ريحان

هدية إلى شعراء في هذا الزمان

لأستاذ جليل

يقرض قارضون في مصر والشام والعراق وبلاد المغرب — هذا الذي يطلع في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية والدواوين العامة[١]؛ فإذا تعقب قارضي ذاك القريض متعقبون ، وسوّءوا عليهم ما يُهرئون[٢] ، وأرذلوا تلك المخزيات[٣] المهلهلات — حرد أولئك المقصّدون والقوالون والفصالون[٤] وزقوا ، ولبثوا ليالي وبُهُرا[٥] متأوهين متأففين يلعنون النقد والناقدين . والناس في كل زمان لا يحبون إلا المدح والتمجيد ، ويخ يخ ، وزه ، ومرحى ...

يهوى الثناء مقصر ومبرز حب الثناء طبيعة الإنسان[٦]

وقد أردت أن أتقرب إلى أصحاب الشعر البهرج[٧] المزروفي[٨] برواية أحاديث وأقوال في شعراء من قبلهم قالوا الشعر واللغة لغة والعربية عربية والناس ناس « والأدب غض والزمان زمان[٩] » ليتعزى الأصحاب بما يقرءون ويسمعون ، وليتأسوا بإخوان لهم سابقين « إن الأسى تدفع الأسى » ولولا الأسى ما عشت في الناس ساعة

ولكن إذا ما شئت جاوبني مثلي[١٠]
عمرت للسرور دهراً فصارت للتعزّي رباعهم والتأسي[١١]

(١) بتخفيف الميم وتشديدها
(٢) أهرأ : أتي بالهراء
(٣) المخزيات . المخزيات . وفي اللسان : قصيدة مخزية نهاية في الحسن يقال لقائلها : أخزاه الله !
(٤) (القصالون) هم الذين يقصون ليأخذوا الجوائز
(٥) بهر : جمع بهار
(٦) ابن نباتة السعدي
(٧) في الأساس : كلام بهرج وعمل بهرج وكذلك كل موصوف بالرداءة .
(٨) المزروف بين الشعر والكلام
(٩) ابن قتيبة في مقدمة أدب الكتاب
(١٠) الحارث بن زيد الخيل (١١) البحتري

وبآبائك الكرام التأسي والتسلي عمن مضى والتعازي[١]

وليستيقن القوم أن الله لم يدخر السخف لهذا الزمان ، ولم يُنَتِّج عصراً من العصور من خلط وهذيان . والدواهي أقاسيم ، جزأها وقسمها بين الناس صانع حكيم

* * *

* قال عبد الرحمن بن حمزة المكي : كان أبو العتاهية إذا حج يجلس عندي بمكة ، فجاءه شاعر كان عندنا ، فجعل ينشده وأبو العتاهية لا يصغي إليه لأنه لم يستجد شعره ، فقال له الشاعر : مالك لا تصبر حتى تسمع ؟ فقال :

سأصبر جهدي لما أسمع فإن عيل صبري فما أصنع ؟

* سمع عروة بن الزبير من ابن له شعراً ، وكان ابنه هذا يقول الشعر ، فقال له : يا بني ، أنشدني ، فأنشده حتى بلغ ما يريد من ذلك ، فقال له : يا بني ، إنه كان شيء في الجاهلية يقال له : المزروف بين الشعر والكلام ، وهو شعرك

* قال أبو العيناء : دخلنا على المتبي نعوده وقد مرض ، فقال : ما أجزع من الموت كجزعي من « أبي مسلم الخلق » لأني أخاف أن يرثيني كما رثى الأصمعي

* قال الهيثم السمري : حدثني شاعر من موالي بني تميم كان يألف أبا نؤاس ، وكان أديباً ظريفاً قال : دخلت على أبي نؤاس في علته التي مات فيها ، فسر بدخولي عليه ، ونشط ؛ فقلت له أعرض عليك شعراً لي ؛ فقال : أعلى هذه الحال ؟ فقلت له : أنت بخير حال . وأنشدته إياه فجعل يبكي ، فقلت له : لم تبكي ؟ لك بسائر اليهود والنصارى والملوك أسوة ... فقال لي : كم تظن من شاعر قد مدح بأحسن من شعرك هذا فكان ثوابه أن صُفع حتى عمي ، وأنا أسأل الله أن يرزقك ما رزقهم فقال له ما لك لا شفاك الله !

* أنشد رجل الفرزدق شعراً له وقال له كيف تراه

فقال : لقد طاف إبليس بهذا الشعر في الناس فلم يجد أحمق يقبله سواك

* قال السجستاني : أنشد رجل ابن مناذر قصيدة ، فجعل يقول : غفر الله لك ، غفر الله لك ! فلما فرغ قال : ردها على شيطانك لا يمتن بها عليك

(١) التنبي .

* قال الطبرى فى تاريخه : قال محمد بن سلام كان المهدى يقعد للشعراء فدخل عليه شاعر طويل اللحية ، فأنشده مديحاً له فقال فيه : « وجؤار زفرات » فقال المهدى : أى شىء زفرات ؟ فقال له : ولا تعلمه أنت يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا . قال : فأنت أمير المؤمنين وسيد المسلمين لا تعرفه ، أعرفه أنا ؟ كلا والله . فقال المهدى : ينبغى أن تكون هذه الكلمة من لغة لحيتك .

* أنشد رجل أعرابياً شعراً وقال له : هل ترانى مطبوعاً ؟ قال : نعم على قلبك

* قال الصولى فى كتاب الأوراق والمرزبانى فى الموشح : سمع أحمد بن يوسف الكاتب لأخيه شعراً قد كتب به إلى هوى[1] له فكتب إليه أحمد : وفقك الله « يا أخى » للسداد ، وهداك للرشاد ، قرأت لك شعراً أنفذته إلى من تخطب مودته ، وتستدعى عشرته ، فسرنى شغفك بالأدب ، وساءنى اضطرابك فى الشعر ، وليس مثلك من أخرج من يده شيئاً يعود بعيب عليه ، وأعيذك بالله أن تلج لجة الشعر بلا عوم ينجيك منها ، وسباحة تصدرك عنها ، فتنسب إلى قبيح أمر هويت النسبة إلى حسنه ، فاعرف الشعر قبل قوله ، واستعن على عمله بأهله ، ثم قل منه ما أحببت ، إذا عرفت ما أوردت وأصدرت

* قال ابن الجوزى : أنشد رجل أبا عثمان المازنى شعراً له فقال : كيف تراه ؟

قال : أراك قد عملت عملاً بإخراج هذا من جوفك لأنك لو تركته لأورثك السل

* قال إسحق الموصلى : أنشدت أبا عبيدة أبياتاً لبعض القدماء فقال : أترى فيها مثلاً أو معنى حسناً ؟ قلت : لا

فقال : من جهلك حامل أسفار ؟

* قال إسحق : قال لى الفضل بن الربيع : يا أبا محمد ، إن من الشعر لأبياتاً مُلس المتون قليلة العيون ، إن سمعتها لا تفكه لها ، وإن فقدتها لم تبالها

* قال ابن الجوزى : جاء شاعران إلى بعض النحاة فقالا :

اسمع شعرنا واخبرنا بأجودنا ، فسمع شعر أحدهما ، وقال ذاك أجود . قال له فما سمعت شعره

قال : ما يكون أنحس من هذا قط

* قال الجاحظ : أنشد عبد الرحمن بن عبد الأعلى أبا زيد الأنصارى شعراً له فقال له أبو زيد : يا أخى ، هذا شعر لا عليك ألا تستكثر منه

* قال أبو العيناء : عرض رجل على الأصمعى شعراً رديئاً ، فبكى الأصمعى ، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : يبكينى أن ليس لغريب قدر ، لو كنت ببلدى بالبصرة ما جسر هذا أن يعرض علىّ هذا الشعر وأسكت عنه

* قال على المنجم : أكثر هذه الأشعار الساذجة الباردة تسقط وتبطل إلى أن ترزق حتف فيحملون ثقلها ، فتكون أعمارها عدة أعمارهم ، ثم ينتهى بها الأمر إلى الذهاب ؛ وذلك أن الرواة ينبذونها وينفونها فتبطل

* قال الصفدى : قال الرضى الحلاوة يوماً لضياء الدين موسى الكاتب : أنا أشعر شعراً حسناً وما يعوزنى إلا حسن فقال له موسى : لحية ...

* قال ابن رشيق صاحب العمدة :

الشعر منزلة العقول ؛ وذلك أن أحداً ما صنعه قط فكتمه ولو كان رديئاً

* أبو إسحق الصابى :

لقد شان هذا الشعر قوم ، كلامهم

إذا نظموا شعراً من الثلج أبرد

فيارب ، إن لم تهدهم لصوابه فأضللهم عن وزن ما لم يجوّدوا

* دعبل :

سأقضى ببيت يحمد الناس أمره

ويكثر من أهل الرواة حامله

يموت رديء الشعر من قبل أهله

وجيده يبقى وإن مات قائله

(١) هو — كذا — وهوى — كذا فى جميع اللهوى